البنية الاجتماعية في شمال افريقيا قبل الاستعمار الاوربي

Social Structure in North Africa Before European Colonization

رؤى ابراهيم عبدالباقي السامرائي
Roua Ibrahim Abdul-Baqi Al-Samarrai
E-mail: eduhm230287@uosamarra.edu.iq

أ.م.د. اشواق سالم ابراهيم الدوري
Asst. Prof. Dr. Ashwaq Salim Ibrahim Al-doury
E-mail: ashwaqigi1@gmail.com

جامعة سامراء /كلية التربية
University Of Samaraa

الكلمات المفتاحية: افريقيا البيضاء، التركيبة الاجتماعية، حضر الجزائر، جامع الزيتونة، جامع القيروان، الطرق الصوفية.

Keywords: White Africa, social structure, urban Algeria, Ez-Zitouna University, Al-Qarwan University, Sufi orders.

الملخص

كانت البنية الاجتماعية في شمال افريقيا قبل الاستعمار الاوربي متنوعة ومعقدة، وتأثرت بعوامل مختلفة، منها التكوين القبلي، إذ لعبت القبائل دوراً محورياً في البنية الاجتماعية، ولاسيما في المناطق الريفية؛ بسبب تمتعها بهياكل اجتماعية وسياسية خاصة بها، وكانت العصبية القبلية عاملاً مؤثراً في العلاقات الاجتماعية، اما التكوين الحضري في المدن، فكانت البنية الاجتماعية اكثر تعقيداً، ‘إذ كانت تظم طبقات اجتماعية مختلفة، مثل الطبقة الحاكمة، والتجار والحرفيين والعلماء ورجال الدين، والاجانب والاقليات من العثمانيين والمماليك والتركمان والاوربيين، والزنوج واليهود واهل الاندلس، إلى جانب وجود المسيحين والعبيد والموالي، فضلاً عن المجموعات العرقية المختلفة، مثل الامازيغ والعرب و الافارقة، وعاشت في مناطق مختلفة، ولهم ثقافات وتقاليد خاصة بهم، فضلا عن التكوين الديني والعلمي، اذ لعب الدين الاسلامي دورا في تحديد العلاقات الاجتماعية والثقافية والقيم والاخلاق، وعاملا مؤثرا في البنية الاجتماعية، وكان رجال الدين يتمتعون بمكانة اجتماعية مرموقة، واعتمد النشاط الاقتصادي الرئيسي على الزراعة في المناطق الريفية، بينما كانت التجارة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي في المدن؛ بسبب ارتباط شمال افريقيا بمناطق اخرى في افريقيا واوروبا والشرق الاوسط، ولاسيما بسبب موقعها الجغرافي المتميز على البحر المتوسط والمحيط الاطلسي.

Abstract

The social structure in North Africa before European colonization was diverse and complex, and was influenced by various factors, including tribal formation.Tribes played a pivotal role in the social structure, especially in rural areas, due to their own social and political structures.Tribalism was an influential factor in social relations. As for the urban formation in cities, the social structure was more complex, as it included different social classes, such as the ruling class, merchants, craftsmen, scholars, and clerics, as well as foreigners and minorities from the Ottomans, Mamluks, Turkmen, Europeans, Negroes, Jews, and Andalusians. In addition, there were Christians, slaves, and clients, as well as different ethnic groups, such as the Amazigh, Arabs, and Africans. They lived in different regions and had their own cultures and traditions, in addition to religious and scientific formation. Islam played a role in defining social and cultural relations, values, and morals, and was an influential factor in the social structure. Clergy enjoyed a prestigious social position, and the main economic activity depended on agriculture in rural areas, while trade was the economic activity. Mainly in cities, due to North Africa's connection to other regions in Africa, Europe, and the Middle East, particularly due to its privileged geographical location on the Mediterranean and Atlantic Oceans.

المقدمة

كانت البنية الاجتماعية في شمال افريقيا قبل الاستعمار الاوروبي تتميز بتعدد الهياكل والتنظيمات التقليدية التي تأثرت بالعوامل الجغرافية والثقافية والتاريخية، وتالف المجتمع من قبائل وعشائر، وكانت العلاقات الاجتماعية قائمة على الروابط العائلية والقبلية، اذ لعبت القبيلة دوراً في تحديد الهوية والانتماء، كما تأثرت البنية الاجتماعية بالأنظمة السياسية والاقتصادية، إذ ازدهرت المجتمعات الزراعية والرعوية والتجارية، ولاسيما في المدن الكبرى والمناطق الصحراوية التي اعتمدت على التجارة وتنظيم القوافل، الى جانب ذلك، كان الدين الاسلامي والنظم العرفية عاملين مهمين في تنظيم الحياة الاجتماعية، إذ شكل الفقه الاسلامي والعادات المحلية اساس التشريعات والعلاقات بين الافراد والجماعات، ومع ظهور الدول التي حكمت المغرب العربي، تطورت الهياكل الاجتماعية، وبرزت طبقات مثل الفقهاء والتجار، الى جانب الفلاحين والرعاة، كل تلك العوامل شكلت مجتمعا متماسكا لكنه متغير، حتى بدأت التأثيرات الاوروبية في القرن التاسع عشر تغير ملامحه بشكل تدريجي، وقد تم تقسيم البحث الى ثلاث فضلاً عن المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر، إذ تناول اولاً : التركيبة القبلية والعشائرية، وتناول ثانياً: دور التعليم في المجتمعات المستعمرة لشمال افريقيا، وثالثاً دور الدين الاسلامي في المجتمعات المستعمرة لشمال افريقيا.

أولاً: التركيبة القبلية والعشائرية.

اطلق اسم(افريقيا البيضاء) على الجزائر وتونس والمغرب، وعُدت اقطارا موحدة، على الرغم من اختلاف انظمة الحكم فيها في ضل الدول الاستعمارية فرنسا واسبانيا (زوزو، ٢٠٠٩م، ص٧٩)، وكانت طريقة الدولة العثمانية في توحيد وحكم اقاليم شمال افريقيا تختلف عن التي اتبعتها في المشرق العربي ومصر؛ وذلك لان الدولة العثمانية كانت دولة برية في المشرق العربي اعتمدت على الجنود والاسلحة والمدافع، اما في المغرب العربي وشمال افريقيا فقد كانت دولة بحرية اعتمدت على السفن السريعة المتميزة ذات الكفاءة في التدريب؛ بسبب اهتمام الدايات في الجزائر بإنشاء مصانع لبناء السفن وتطويرها، وجلب المدافع، وبناء الثكنات العسكرية، ولاسيما بسبب اشتداد الحملات البحرية الاوروبية على الجزائر(الزين، ٢٠٢٠، ص٢٩٠)، وعلى الرغم من ذلك فان الدولة العثمانية استخدمت السيف لتوحيد المشرق العربي الا انها وجدت رجال البحر في المغرب يأتون اليها ويطلبون الاتحاد معها، واصبحت جميع شمال افريقيا في عام ١٥٥٦ تابعة للدولة العثمانية (دسوقي، ٢٠١١، ص١٠).

ادخل العثمانيون مفهوم الحدود السياسية في شمال افريقيا، ورسموا الحدود الحالية التي لم تتغير منذ ذلك الوقت(فارس، ١٩٦٩، ص٥٥)، ورسموا معالم واسس الدولة القوية بالاعتماد

على عدد من رجال القبائل[١](العقاد، ١٩٩٣، ص١٠)، من اجل فرض الامن والنظام في المناطق الموجودة فيها، وكان رجال القبائل العربية يحصلون على بعض الامتيازات و المكافأت، ولهم دور كبير ومباشر في السيطرة على الاوضاع الداخلية في المجتمعات المستعمرة(المحجوبي، ١٩٨٦، ص١٦)، وقامت المؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية، بتنظيم شؤون البلاد ومصالح السكان(خديجة، ٢٠٢٠، ص٢٥٣).

اعتمدت دول شمال افريقيا كذلك على الضباط الذين اداروها باسم الدولة العثمانية، وحددت اعمالهم ومهامهم ورواتبهم واغلبهم كانوا من العثمانيين المبعوثون من قبل السلطان العثماني، والانكشارية[٢](نجم، ٢٠١٤، ص١٧٤– ١٨٤) الذين عملوا في الوظائف الاجتماعية وامتزجوا واختلطوا بالمجتمعات في شمال افريقيا، وكونوا طبقة اجتماعية خاصة بهم اطلق على ابنائهم اسم(الكراغلة)[٣] (جبيري ٢٠١٦، ص ٤٤)، وهم الذين يولدون من امهات تونسيات او جزائريات، وحظوا ببعض الامتيازات مثلما يتمتع بها اباؤهم من الانكشارية، وعاشوا معهم ومارسوا مهامهم، وامتلكوا كل مقومات الانتاج وكل شيء يؤهلهم لامتلاك وسائل الحياة (محمد، ٢٠١٧، ص١٠٣)، الا انهم لم يسمح لهم بدخول الاوجاق، لانهم كانا يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية بالنسبة للعثمانيين، ومنعوا من الانخراط في الديوان والاوقاف، واستعملوا في العمل في البحرية، وفي حماية القلاع العسكرية تحت قيادة الضباط العثمانيين، وحرموا من مميزات الاوجاق، وقاموا بالعديد من الثورات والتمردات في عام ١٦٢٩، ١٦٣٣، و١٦٣٩، وعمل العثمانيين على سياسة صارمة بحقهم، وشددوا المراقبة الاجتماعية عليهم، وعملوا في الوظائف المساعدة، ووصل بعضهم الى وظيفة المفتي او الباي، وانضموا في عام ١٨٣٠ الى الادارة الفرنسية في الجزائر؛ لكونهم يعتبرون انفسهم في مرتبة اعلى ويحتقرون الاهالي ويتعالون عليهم(فارس، ١٩٦٩، ص٨٨– ٨٩).

حققت الجزائر في عهد السلاطين العثمانيين الاقوياء وحدتها الاقليمية والسياسية(بوحوش، ١٩٩٧، ص٢٤)، وامتد نفوذها نحو الشرق الى تونس وليبيا ونحو المغرب الاقصى، واهتمت

(١) القبائل: هم اكبر مجموعة من البربر في شمال أفريقيا ينتشرون في الجزائر في شمال قسنطينة، وتختلف لهجاتهم بعضهم مع بعض حتى يصعب التفاهم بينهم، أما في الريف المراكشي فيسمون بالأمازيغ وفي الاطلس الكبير يسمون الشلوح) وفي تونس تعد قبيلة الطوارق أو التوارك اشهر قبائل البربر) (العقاد، ١٩٩٣، ص١٠)

(٢) الانكشارية: وهي جمع لكلمة يني جري، أطلقت التسمية على نظام الجند العثماني منذ عهد السلطان العثماني أورخان (١٣٢٦– ١٣٥٩)، ووضع أسس اركانها السلطان مراد الأول. (نجم، ٢٠١٤، ص١٧٤– ١٨٤)

(٣) الكراغلة أو القول أوغلي: وهي كلمة تركية مركبة من قول ومعناها جندي، وأوغل معناه ابن. (جبيري ٢٠١٦، ص ٤٤)

كذلك بتشييد المباني العمرانية على الطراز الاندلسي والحصون والقصور والمساجد، واهتمت بالجانب الاقتصادي والاجتماعي بشكل كبير لوجود الموارد الطبيعية والمالية والبشرية، وقامت بتنظيم الادارة وتقديم الدعم العسكري للسلطة، بالرغم من كل التغيرات التي امتازت بالضعف والاستقلال الذاتي، الا انها لم تنقطع بسبب ادراك الدولة العثمانية صعوبة مواجهة الدول الاوروبية واطماعها الاستعمارية في بلدان شمال افريقيا(المجمعي، ٢٠٢١، ص٢١– ٣٨).

تكونت التركيبة الاجتماعية للمجتمعات في شمال افريقيا في العهد العثماني من:

١. الطبقة الحاكمة: كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة وهم الباشوات والبايات والدايات، وكان اغلبهم من العثمانيين، وشكلوا مكون اجتماعي متميز، واستلموا ادارة الحكم، وحافظوا على انتمائهم العرقي وتمسكهم بانتسابهم الى الدولة العثمانية، وارتباطهم بالمهنة العسكرية، فضلاً عن وجود الاسر الحاكمة مثل الدولة المرادية والحسينية[٤] (الارقش، ٢٠٠٣، ص٥٦) في تونس، والدولة العلوية[٥](دسوقي، ٢٠١١، ص٢٨٢–٢٨٤) في المغرب الاقصى (الجميل، ١٩٩٧، ص١١٨).
٢. الطبقة التجارية النشطة: الذين يعتمدون على التجارة والحرف اليدوية والتعليم الديني في المدن مثل القيروان وصفاقس ومراكش وطرابلس، ويخضعون تحت الادارة المباشرة للسلطات العثمانية من خلال حكم البايات والدايات، ولم تهدد الدولة العثمانية باستعمال القوة العسكرية لحل الخلافات بينهم؛ بسبب سياستها المرنة بالاعتماد على وارد الاقاليم (الحارثي، ٢٠٠٧، ص٦٢– ٦٤).

---

(٤) الدولة المرادية والحسينية: قام مراد باي الأول بأعلان الأنفصال عن الدولة العثمانية وتأسيس الأسرة المرادية التي حكت تونس للمدة(١٦٣١– ١٧٠٢)، ثم قام العلماء بأختيار حسين بن علي حاكماً على البلاد وتأسيس الأسرة الحسينية(١٧٠٥– ١٩٥٦)، وعدوا أنفسهم حكأما مستقلين في شؤونهم عن الدولة العثمانية، وأكتسبوا نفوذاً كبيراً، وعقدوا المعاهدات والأتفاقيات، وأعلنوا الحرب من دون الحصول على موافقة السلطان، إلا أنهم جعلوا الخطبة وسك النقود بأسم السلطان، وأشتركوا في الحروب الخارجية البرية والبحرية بتجهيز الأسطول وتقديم الجنود، ونجح بايات تونس في إثبات ولائهم للدولة العثمانية، وأعطوا مثالاً للدول الأوروبية على قوة تونس في مجابهة التحديات الخارجية، لأنهم ينظرون إلى أنفسهم إنهم حكام مطلقين يتمتعون بالحكم الذاتي، ولهم صلاحيات واسعة في إدارة شؤون البلاد السياسية والأقتصادية والعسكرية.(دلندة الارقش، ٢٠٠٣، ص٥٦)

(٥) الدولة العلوية: وهي الأسرة الحاكمة في المغرب منذ عام ١٦٣١ حتى يومنا هذا، تنتمي تلك الأسرة إلى العرب الأشراف الذين جاؤوا إلى المغرب منذ الفتح الاسلامي عام ٦٨٠م. (دسوقي، ٢٠١١، ص٢٨٢–٢٨٤)

٣. الطبقة الفلاحية: هم الاغلبية التي كانت تعاني من الاستغلال الشديد في دفع الضرائب، على الرغم من قيام الدولة العثمانية بالحد من استنزاف الموارد المالية في الولايات التابعة لها، وايجاد مورد ثابت لخزينة الدولة، فكانوا يتوزعون في القرى والارياف ويعتمدون على الزراعة وتربية المواشي (العيد، ٢٠١٧، ص١٤٧)، وتم تنظيمهم في قبائل تخضع للزعماء المحليين، وقد ادت القبائل دورا مهما في الحياة الاجتماعية والسياسية، وكان لها نظامها الاجتماعي الخاص، وتدار عن طريق مجلس شيوخ او زعيم، ويتخذون القرارات بشكل جماعي، اذ ان الدولة العثمانية لم تتدخل في حياة السكان الاجتماعية انما تركتهم وشانهم، فحافظ النظام القبلي على مقوماته، وتماشت بعض القيادات مع توزيع القبائل، مع تمتعهم بنوع من الحكم الذاتي مقابل ولائهم للدولة العثمانية (حاطوم، ١٩٨٥، ص٤٦٧)، اما في المغرب فقد خضعت القبائل لحكم الدولة العلوية، وجردوا من وسائل الحرب من الخيل والسلاح، واقامة القلاع في مناطقهم لمراقبة حركات التمرد، وطرق المواصلات، ومراقبة المدن المهمة، واعفت بعض القبائل من دفع الضرائب بسبب خدماتهم العسكرية (عامر، د.ت، ص ٩١).

٤. الاجانب والاقليات: تكونت من العثمانيين والمماليك والمغول والتركمان والشراكسة والاوروبيين من فرنسا واسبانيا وايطاليا والمانيا، فضلا عن القناصل ورجال الدين والتجار، الذين عاشوا في المناطق الساحلية والمناطق الداخلية، فعلى سبيل المثال سمح السلطان المغربي مولاي الحسن الاول (١٨٣٦– ١٨٩٤) للأوروبيين الاقامة في مدينه فاس، ولاسيما الاطباء واصحاب الجمعيات التبشيرية، اذ اتخذت الدول الاستعمارية الطب وسيلة للتدخل في شؤون المجتمع المغربي، ونجحوا في اثبات مهاراتهم المهنية لأغراضهم السياسية، ومهدوا بذلك الطريق لاستعمار المغرب(السامرائي، ٢٠١٨، ص٥٧).

٥. الزنوج[٦](حسين، ٢٠١٤، ص١٠) واليهود[٧](ابو جابر، ١٩٩١، ص٢٤): عاشوا في الاحياء الخاصة بهم، وشاركوا في الحرف والتجارة، وانقسم اليهود الى ثلاثة اقسام وهم: كبار

---

٦) الزنوج: وهم الخدم الذين يقومون بالأعمال اليدوية وينظفن البيوت، ويطهون الطعام، ويزرعون ويرعون المواشي، وهم في الأصل من أفريقيا السوداء جاؤوا إلى أسواق الرقيق، وعدوا أنفسهم عبيداً للقبائل المغربية (حسين، ٢٠١٤، ص١٠)

(٧) كان اليهود من يهود البرتغال وأسبانيا الذين عاشوا في ظل الدولة العربية الغسلامية في الأندلس، وطردوا

اليهود الذين عاشوا في المدن الساحلية، وحاولوا التمسك بالكيان الفرنسي، ويهود الطبقة الوسطى في المدن الداخلية، وهم يحتفظون بديانتهم التامة في كل شيء، واخيرا يهود القرى الصغرى واراضي الجنوب وهم يندمجون مع العرب والبربر[٨](الشمري، د.ت، ص٢٢٠)، ويتكلمون لغتهم ويلبسون ملابسهم، وتمتعوا بنوع من الاستقلال الذاتي، وخصص لهم قطعة من الارض لاتخاذها مقبرة لدفن موتاهم، وابتعدوا عن التدخل في شؤون الدولة، ولاسيما انه كانت توجد علاقات بينهم وبين الاسر الحاكمة في شمال افريقيا، حينما سمح لهم بالتوكيل في الشؤون الخارجية، ووكلاء دبلوماسيين يمثلون مصالح الولايات في الخارج. (رحيم، ٢٠١٨، ص٢٥٠).

٦. اهل الاندلس: وهم الذين تفوقوا بالنشاط الاقتصادي وسيطروا على التجارة في شمال افريقيا، واطلق عليهم اسم (حضر الجزائر) لانهم احفاد العرب الاندلسيون الذين شكلوا فئة من الاثرياء (رمضان، ٢٠١٣، ص٥٥)، وتكون منهم رجال الدين والمثقفين والفلاحين والتجار وعائلات الاعيان العريقة، وتمتعوا بالحظوة لدى الحكومة والسكان؛ بسبب ثرائهم وسيطرتهم على الضرائب، واعتمدت عليهم الدولة في مساعدتها على فرض الامن وتسليم المتمردين(المحجوبي، ١٩٨٦، ص١٧).

٧. المسيحيون: وهم الذين كانوا قد جاءوا من اسبانيا بعد سقوط الاندلس، او من جراء النشاطات العسكرية او من الحروب التي خاضتها ولايات شمال افريقيا مع الدولة العثمانية ضد الاوربيين، وكانوا من جنسيات مختلفة، واعتنقوا الاسلام، ومنهم من تظاهر بالإسلام، ومارسوا التجارة الى جانب اليهود ووصلوا الى مناصب عليا في الدولة، وقد ادعوا انهم صورة مثالية للمسيحي الذي يتخلى عن هويته التاريخية والثقافية، وضحوا بأفكارهم ومعتقداتهم من اجل اعتناق الاسلام، والعيش بين المغاربة المسلمين، ولاسيما ان اغلبهم

من الأندلس بعد سقوطها عام ١٤٩٢، وتوجه قسم منهم إلى شمال أفريقيا، والقسم الاخر إلى دول أوربا التي اعتنقت المذهب البروتستانتي، بسبب عدم ترحيب الدول الكاثوليكية بهم بعد حركة الإصلاح الديني في إيطاليا وفرنسا، وأسهموا في الحملات الأوروبية الأستعمارية. (ابو جابر، ١٩٩١، ص٢٤)

(٨) البربر: هي كلمة لاتينية تعني أعجمي، أطلقها الرومان على سكان أفريقيا، لانهم لم يفهموا لغتهم، وأطلق البربر على أنفسهم أسم أمازيغ، وتعني الأحرار أو الشجعان أو الأشراف، وكانوا معروفين بشجاعتهم ومقاومتهم للأجانب) (الشمري، د.ت، ص٢٢٠)

مغامرين لديهم معرفة واسعة بالإسلام، ويجيدون اللغة العربية التي تعد الطريقة الاساسية للعيش في المغرب(Akmir, 2012, p.158).

٨. العبيد: وهم طبقة دخيلة على المجتمعات في شمال افريقيا، اذ شكل قدومهم بالفائدة، ولاسيما حينما ازداد عددهم وقوي نفوذهم في الجيش[٩](منشورات حزب الاستقلال، ١٩٥١، ص ٥١)، اذ تركزوا في المناطق المهمة وفي القلاع، وكانوا مستعدين للانقلاب على السلطة الحاكمة الذين يعجزون عن تلبية مطالبهم، وتحولوا الى عصابة عسكرية همهم هو السلب والنهب والاعتداء على السكان، وفقدوا مميزاتهم العسكرية، واحتقرتهم القبائل وجردتهم من السلاح، واضطر عدد من العبيد الى الهجرة الى الولايات الاخرى(فارس، ١٩٦٩، ج١، ص ١٠٥).

٩. الموالي: وهم يتبعون القبائل ويدينون لها بالولاء، ويمدونهم بالرجال في الحروب والغزوات ويؤدون الجزية.(حسين، ٢٠١٤، ص ٩).

١٠. العلوج والبرانية: وهم البحارة الذين يعملون في الاسطول العثماني، وهم من اجناس مختلفة، ويشترط الانخراط في البحرية اعتناقهم للإسلام، اذ كانوا يحصلون على ارقى المناصب التي كانت محظورة على العرب والكراغلة، واعتنق الاكثرية الاسلام طمعا في ذلك الامر بدلا من ان يبقى اسيرا او يعمل في الاراضي وخدمة البيوت(فارس، ١٩٦٩، ص ٩٣).

انقسم النظام الاجتماعي للسكان الى قسمين: هم سكان المدن وسكان الريف، وتكون سكان المدن من وحدة اجتماعية سياسية يحكمها المجلس، اما سكان الريف، فيتكونون من قبائل تجمعهم عائلات كبيرة، وتقسم القبائل الى عشائر تنتهي باسم الجد الاكبر للقبيلة (شعبان، ٢٠١٦، ص١٠)، وكان اغلب السكان على المذهب المالكي، اما الاتراك والكراغلة وبعض الحضر فكانوا على المذهب الحنفي، ويمارس السكان النشاطات الحرفية والتجارية، ويسكنون المدن الساحلية ويملكون المنازل والاراضي، ويخدمهم في بيوتهم الاسرى العبيد من المسيحيين الاوروبيين، الى جانب وجود عدد من العائلات اليهودية التي لها نفوذ كبير في شمال افريقيا،

(٩) لم تكن الخدمة العسكرية في المغرب إجبارية، وإنما كان الولاة يكلفون بتجنيد الجنود كلما أحتاجت الدولة إلى العسكر، وتقرر النفير العام ويجند السكان إذا ما هدد الوطن خطر خارجي، وبسبب اتساع نطاق المغرب دفع السلاطين إلى تحوير النظام العسكري، وتأليف جيش دائم من العبيد المتطوعين والمرتزقة من الاندلسيين والعثمانيين والمسلمين وغيرهم. (منشورات حزب الاستقلال، ١٩٥١، ص ٥١)

وكان يوجد مقاهي في كل المدن، ويمنع على المسلمين بيع الخمور، ولم تكن المرأة تخالط الرجال ولا تخرج من المنزل الا عند الضرورة.(عموره، ٢٠٠٢، ص١٠٧- ١١٠).

عُدت مدة حكم شمال افريقيا في العهد العثماني (١٥٥٦- ١٨٣٠) مدة مهمة، بسبب حدوث التغيرات الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتركت اثارا مهمة على هويتها، اذ كان هناك مزيج من الاعراق المختلفة التي تعيش في شمال افريقيا مثل العثمانيين والاوربيين الذين اعتنقوا الاسلام ويؤلفون نصف المدينة، والنصف الاخر هم المهاجرين من الاندلس وابناء القبائل العربية الذين جاؤوا مع الفتح الاسلامي في القرن السابع الميلادي(بوحوش، ١٩٩٧، ص٢٥- ٢٩)، وانصهروا مع الامازيغ وشكلوا علاقات اجتماعية بينهم، والقبائل البربرية الامازيغية وهم السكان الاصليين لشمال افريقيا، ويشكلون العمود الفقري للقبائل والعشائر في المنطقة، فضلا عن وجود تنوع ثقافي كبير تداخلت فيه العادات والتقاليد والقيم المختلفة، على الرغم من ذلك التنوع فان اللغة العربية كانت اللغة الرسمية للدولة لأنها لغة الدين الاسلامي، و لا فرق في ذلك بين كل اقسام شمال افريقيا (المدني، ١٩٥٦، ص٢٨).

تميزت القبائل الامازيغية بالقوة والحزم والاستعداد الكبير للقيام بالأعمال، وتمسكها بالحرية ولا تخضع لسلطة السلطان، على عكس سكان السهول وهم العرب، اذ وضحت فرنسا انهم تابعون للسلطان من منطق ديني، وفقدوا حق الشعور بالفخر والاعتزاز بالنفس (سليماني، ٢٠١٩، ص٤٠٤).

ثانياً: دور التعليم في المجتمعات المستعمرة لشمال افريقيا.

حينما نتكلم عن الاستعمار ونبحث في تاريخه فهو ليس بالضرورة الاستعمار السياسي، وانما هناك الاستعمار الثقافي، إذ فرض المستعمر لغته وثقافته وديانته بالقوة على الشعوب المستعمرة، إلى جانب وجود الاستعمار الاقتصادي وهو السيطرة على ثروات المجتمعات المستعمرة، وتسخير ابنائها والاستفادة منهم في الاعمال الشاقة، ولذلك عمل الاستعمار على استعمال القوه وازالة القديم حتى لو كان فيه خيرا للمجتمعات المستعمرة (فليجة، د.ت، ص٦٧).

توجد ثلاث جامعات اسلامية في قارة افريقيا هي الجامع الازهر في القاهرة[١٠](عبدالمعطي، ٢٠١٦، ص١٣)، وجامع الزيتونة في تونس[١١](حسين، ٢٠١٠، ص ٢٨- ٣٠)، وجامع

(١٠) الجامع الازهر: هو أقدم المساجد في مصر والعالم الإسلامي، تأسس عام(٣٥٩ هـ- ٩٧٠م)، إثناء عهد القائد جوهر الصقلي بأمر من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، وكان مركزاً لنشر المذهب الشيعي الإسماعيلي، وأصبح مع مرور الوقت رمزاً للإسلام السني بعد دخول الدولة الأيوبية إلى مصر في القرن الثاني عشر، ومركزاً علمياً وتعليمياً عالمياً، ويعد اليوم منارة للعلوم الدينية والشريعة وتهتم الجامعة بتدريس مختلف العلوم الإسلامية والعصرية (عبدالمعطي، ٢٠١٦، ص١٣)

(١١) جامع الزيتونة: هو ثاني الجوامع التي رفعت لإعلاء الاسلام في أفريقيا بعد جامع عقبة بن نافع في

القرويين في فاس[١٢](حمود ٢٠٢٢، ج ٣، ص١٦٢-١٦٤)، وتختص رسالتنا على ما قدمته جامع الزيتونة وجامع القرويين، ولاسيما بسبب تمتعهما بالموقع الجغرافي والمحيط الاقتصادي، ولقيت رجالا من اهل العلم يدرسون في جامعاتها، وكانت وسيلة تعارف بين جامعات المسلمين عامة، ورجال العلم خاصة، ووفقت الجمعيات الى القاء المحاضرات في الحالة العلمية والاجتماعية منذ نشأتهما في تلك البلاد(حسين، ٢٠١٠، ص٢٠).

شهد الواقع الثقافي في الجزائر وتونس خلال حكم الدولة العثمانية تأثراً بالتطورات السياسية والاقتصادية التي ظهرت في ذلك الوقت، وكان لها تأثيراً كبيراً على العرب العاملين والدارسين في ولايات الدولة العثمانية، ولاسيما ان العرب اصابهم الاهمال والتعسف، وفتحت الدولة العثمانية المجال لتناول الموضوعات التي تهم الناس وتناقش مشاكلهم وقضاياهم، واول تلك المشاكل هو تذمر الناس من الاوضاع المتردية في الدولة العثمانية، واخذ العرب المثقفون الفرصة للاطلاع على الكتب والمقالات التي اتسع نشرها وتناولت الاتجاهات الجديدة التي ظهرت في اوروبا، واثرت على عقول المثقفين المتنورين، بينما كان المغرب الاقصى اشد حرصا على تقاليدها وعاداتها من دول شمال افريقيا، واقل الدول العربية تأثراً بالمدنية الاوروبية واشدها حرصا على تراث الماضي؛ بسبب عزلتها عن العالم الخارجي، واخذوا من ذلك الامر سياسة تقليدية لهم(دسوقي، ٢٠١١، ص٢٨٣).

عُدت اللغة العربية من اوسع اللغات انتشارا في افريقيا ويتكلم بها ثلث سكانها، اذ دخلت اللغة العربية الى افريقيا مع الفتح الاسلامي، وانتشرت في الشمال وتأثر بها اقوام شرق افريقيا وغربها، فضلا عن وجود لغات اخرى في افريقيا هي البربرية في المغرب واجزاء من الجزائر سكان الاطلس، وجاء ذلك التأثير عن طريق التجارة وانتشار الدين الاسلامي ولغة القران الكريم(فليجة، د.ت، ص١٨٦- ١٨٧).

كانت شمال افريقيا قبل الاستعمار الاوربي تعتمد على الزوايا والكتاتيب[١٣] (الشريف، ٢٠١٨، ص٢٨) والمساجد في تعليم الابناء حفظ القران الكريم ودراسة التفسير والفقه والحديث

القيروان، تأسس عام(٧٩هـ- ٦٩٨م) في عهد حسان بن النعمان الغساني، وتوسع في عهد الأسر التي حكمت تونس، ويعد مركزاً للعبادة والتعليم، ويدرس فيه مختلف العلوم الشرعية والادبية والفنية، وكان له دوراً كبيراً في مقأومة الفرنسيين وسياستهم التوسعية) (حسين، ٢٠١٠، ص ٢٨- ٣٠)

(١٢) جامع القرويين: سمي بذلك الاسم لتخفيف كلمة القيروان إلى القرويين، بني في مدينة فاس عام(٢٢٥ هـ- ٨٥٩ م)، وارتبط تاريخ الجامع بالتاريخ السياسي للمغرب، إذ أدى دوراً كبيراً في دعم النظام السياسي، ومثلت الشرعية للحاكم أو السلطان الذي يحكم البلاد، وكانت تتم مبايعة الحاكم من خلال الجامع بواسطة علمائها) (حمود ٢٠٢٢، ج ٣، ص١٦٢-١٦٤)

(١٣) الزوايا والكتاتيب: الزوايا مفردها زأوية وهي مدرسة دينية ودار مجانية تقدم الطعام لرواد الزأوية من طلاب

والتوحيد، ومبادئ الكتابة والحساب ومقدمة ابن خلدون وملخصات الطب لابن سينا، وقدمت الزوايا والكتاتيب والمدارس والمساجد مستويات اعلى من التعليم للشباب، والتعمق في العلوم الشرعية والادبية، وكانت مراكز العلم في المدن الكبرى مثل القيروان وفاس وطرابلس قد قدمت للدولة العثمانية الكثير من القضاة ورجال الافتاء، لاسيما ان التمويل لتلك المراكز التعليمية كان من قبل الاوقاف الاسلامية التي اوقفها اصحابها للعمل الخيري لينتفع منها الفقراء، وكذلك اسهمت العائلات الثرية بالتمويل لبعض الطلبة التي كانت تؤدي ذلك العمل باعتباره عملا صالحا وواجبا شرعيا(مختاري، د.ت، ص٤-٧).

امتاز التعليم في تونس بالطابع التقليدي الذي ارتكز على جامع الزيتونة، والذي شهد محاولات تحديث للمناهج واعداد برنامج اصلاحي، الا ان شيوخ الجامع قد رفضوا الاصلاح وعارضوا التوجه الجديد، وعدها البعض لا ترقى لتقديم العلوم العصرية والفنية، ولذلك بقي التعليم على وضعه يقوم بحلقات الذكر وعدم الاخذ بأسباب التقدم العلمي (احمد، ٢٠٢٢، ص٢٧٠)، ثم قامت تونس بتحديث برامج التعليم وانشاء عدد من المكتبات على نمط المكتبات في اوروبا، وتأسيس نظام جديد للأوقاف الدينية(الجميل، ١٩٩٧، ١٩٩٧، ص٤٥١) وادخلت نظام الطباعة حينما تأسست اول مطبعة حجرية في منطقة الحفصية عام ١٨٥٨، وتولت طبع الاوراق الرسمية للدولة، وفتحت ابوابها للناس الذين اقبلوا عليها لنشر كتب التاريخ والادب والفكر واللغة والحديث والتوحيد، ثم صدرت اول عملة نحاسية تحمل اسم باي تونس دون اسم السلطان العثماني (فتيحة، ٢٠١٩، ص١٧)، واصدرت المطبعة جريدة الرائد التونسي عام ١٨٦٠، واستفادت تونس من نشر التعليم ورعاية العلماء والمكتبات العلمية وبناء المؤسسات التعليمية، ونقلت الفكرة السياسية الى حكمها حينما اصدر الباي محمد الصادق(١٨٢٧- ١٨٨٢) دستور عهد الامان عام ١٨٦١، والذي يعد اكبر مظاهر تنظيم الحكم، وهدف الى منح الشعب بعض الحقوق، وواجه تحديات كبيرة بسبب تدخل القوى الاجنبية والصعوبات الاقتصادية في تونس(بلقاسم، ٢٠١٧، ص٤٧)، وتأسيس المدرسة الصادقية[١٤](حسين، ٢٠١٠، ص٤٥) عام ١٨٧٥ الا انها لم تحقق اهدافها بالشكل المطلوب، ولاسيما ان الاصلاح كان في بدايته هو اصلاح المجتمع

العلم والفقراء والغرباء، وتوفر فرصة التعليم للراغبين في الدراسة من دون مقابل، أما الكتاتيب: فهي جمع كتاب، وتكون غرفة أو اكثر ملحقة بالمساجد أو منفصلة عنها، وتوجد في المدن والبوادي والارياف) (الشريف، ٢٠١٨، ص٢٨)

(١٤) المدرسة الصادقية: وهو معهد أنشأه الباي محمد الصادق لتدريس مبادئ العلوم الإسلامية والعربية العصرية واللغات الأجنبية، وأحيا فيها المكتبة القائمة بجوار جامع الزيتونة، سميت بأسم المكتبة الصادقية، وكانت توجد فيها دار للطباعة، وظهرت فيها الصحيفة الرائد التونسي، اذ كانت الصحيفة علمية ادبية سياسية) (حسين، ٢٠١٠، ص٤٥)

مـع التعليم، وتكوين فئـة من الطـلاب التونسيين يتوجهون الـى المهن الحرة كالطب والمحامـاة والصيدلة والهندسة (الجبوري، ٢٠٢٢، ص ٣٥- ٣٩).

تـوفرت فـي المغـرب العربـي المـدارس وانتشـر العلـم والاهتمـام بالجانـب الصـحي، وتماشـت حركـة السـوق مـع التيـار الاقتصـادي الـذي وصـف بـ اللامركزيـة (الجميـل، ١٩٩٧، ص١٤٢)، وكـان قـوام التكوين العلمـي فـي المغـرب بجـامع القرويين، والجوامـع الموازيـة لهـا، وتميـز الجـامع بأهمية كبيرة، اذ انـه المؤسسـة الوحيدة التـي تحضـر طلبتهـا للمشاركة فـي الحياة السياسية، وكـان الطـلاب الوافـدون الـى الجـامع مـن فئـات مختلفـة وينتمـون الـى فئـات متنوعة(شـعبان، ٢٠١٨، ص١٢)، ودرسـوا المعرفـة الاسـلامية بكـل اصـنافها، والبحـث عـن الحقـائق المطلقـة والشـريعة المحكمـة، وعمـق الـروابط الفكريـة والوجدانيـة بـين الاجيـال التـي تناقلـت تلـك المعرفـة فـي قوالـب مذهبية صـارمة فقهية وكلامية وصـوفية، اذ لـم تكن موضـوع للنقاش او التشكيك، وحافظت علـى الاعتدال الفكري، فلم يظهر فيها اثر البدعة التي تؤدي الى ثورة فكرية او سياسية، فضـلا عن تطـور الحيـاة الدينيـة بسـبب حقيقـة اساسـية ان اهـل المغـرب لـم يتخلـوا عـن اعتـدالهم الطبيعـي، وكانت تقواهم هي وسطية اسلامية متزنـة، تعتمد علـى التقوى الدينية المليئة بالحياة، وشارك فيها الجميـع بوجـود التسـامح بـين الاديـان الاخـرى، وكانـت المسـاجد لا تفـرغ مـن المصـلين، وبعضـها يكون ملتقى منتظما لتلقي دروس التوعية الدينية والتربية الخلقية، فضـلا عن التقاليد الاجتماعية التـي كانـت تراعـي القيـام بـالفرائض الاخـرى كالصـيام والحـج والاعيـاد الدينيـة، وكانـت تلـك التقاليـد تـؤجج المشـاعر الاسـلامية، وتوحـد القلـوب وتحمـل النـاس علـى التضـامن والالتحـام العـائلي، والتنافس في تمويل الخدمات الانسانية والمؤسسات الدينية(الكتاني، ٢٠٠٨ ، ص٥٦-٥٧).

اسـهمت ولايـات شـمال افريقيـا بـدورها العلمـي والـديني والثقـافي بفضـل الاسـلام والفتوحـات الاسـلامية، ودور العلـم والثقافـة والفكـر والحضـارة واللغـة، ولاسـيما حينمـا تأسسـت المراكـز العلميـة في جامع الزيتونة والقيروان والقرويين، واستفادت منها في تنشئة جيل واعي مثقف مدرك للحياة، مع ادراكهم ان التعليم هو ركيزة اساسية للنجاح في الحياة ويوسع افاق الفرد ويمكنه من تحقيق طموحاته(بولغيني، ٢٠١٢، ص٦).

لم يعارض السلطان المغربي عبد العزيز بن الحسن (١٨٩٤- ١٩٠٨) اشراف فرنسا على التعليم فـي المغـرب لابتعـاده عـن مشـاكل الدولـة واهتمامـه بالحداثـة الاوروبيـة، حتـى اضـطر الـى الاستدانة مـن البنـوك الفرنسـية، وادى ذلـك الامـر الـى غضـب العلمـاء ورجـال الـدين فـي المـدن المغـربية مـن سياسـة السـلطان وفرنسـا، اذ سـمح للـدول الاوروبيـة مثـل بريطانيـا وهولنـدا واسـبانيا والمانيا بتأسيس عدد من المدارس الخاصـة لأولادهم مـع تأهيـل الكـوادر المحليـة لتعمـل لصـالح

الدول الاوروبية، واثر ذلك على الثقافة والمجتمع المغربي حينما ادخلت الدول الاوروبية المناهج التعليمية الحديثة التي تحوي افكارا غربية(رحيم، ٢٠١٨، ص٢٤٧).

ثالثاً: دور الدين الاسلامي في المجتمعات المستعمرة لشمال افريقيا.

كان للمساجد دورا كبيرا واساسيا للمجتمعات في شمال افريقيا؛ لأنها مراكز للعبادة والارشاد والنشاط الديني، والقضاء والتعليم، ويحتوي على مدارس وكتاتيب لحفظ القران الكريم(عبدالودود، ٢٠٢٤، ص ١١١)، وكان الدين الاسلامي هو الدين الرسمي في شمال افريقيا، واثر تأثيراً كبيراً على الحياة الاجتماعية والثقافية، على الرغم من تنوع المذاهب الاسلامية، اذ اتخذت الاسرة الحسينية في تونس المذهب الحنفي مذهبا رسميا للدولة، على عكس باقي الولايات في شمال افريقيا التي اعتمدت على المذهب المالكي(العقاد، ١٩٩٣، ص٣٢)، وكان هناك درجة من التسامح الديني، اذ عاشت في شمال افريقيا طوائف مسيحية ويهودية عانت من الاضطهاد في اسبانيا وهاجروا الى شمال افريقيا، وعدوا انفسهم جالية مستقلة الى جانب العرب، وسكنوا في احياء منعزلة (زخمي، ٢٠١٥، ص ٢٦-٣٠).

ادى الدين الاسلامي دورا في تشكيل الهوية الوطنية وظهور الطرق الصوفية[١٥] (زخمي، ٢٠١٥، ص ٢٦-٣٠) التي اسهمت في نشر التعليم الديني وتقوية الروابط بين المجتمعات، ولاسيما في تونس، اذ ادت الطرق الصوفية دورا كبيرا في تشجيع القبائل التونسية على مقاومة الفرنسيين، وفي الجزائر فقد كانت الطريقتان التيجانية[١٦](الحاج يوسف، ٢٠٢٣، ص٣٥٣-٣٦٣) والدرقاوية[١٧](الحاج يوسف، ٢٠٢٣، ص٣٦٦- ٣٦٩) اقوى الطرق الصوفية فيها، وكانت لهم اتباع وعلاقات مع سلاطين المغرب، وادوا دورا كبيرا في الحياة الروحية

(١٥) الطرق الصوفية: هي مدارس ومناهج في الإسلام تهدف إلى تحقيق التقرب من الله تعالى من خلال الزهد والتهذيب النفسي والعبادة والذكر، وتقوم على أسس تربوية وروحية وتركز على تزكية النفس والتخلص من الصفات السلبية والتحلي بالأخلاق الفاضلة (زخمي، ٢٠١٥، ص ٢٦-٣٠)

(١٦) الطريقة التيجانية: هي أحدى الطرق الصوفية الإسلامية، سميت نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني الذي ولد في الجزائر في القرن الثامن عشر الميلادي، واشتهر بزهده وعبادته وتلقى علومه الشرعية على يد كبار العلماء في عصره، ودرس في جامعة الزيتونة، امتدت طريقته بالانتشار من المغرب ثم إلى البلدان الاخرى مثل السودان ونيجيريا ومالي) (الحاج يوسف، ٢٠٢٣، ص٣٥٣- ٣٦٣)

(١٧) الطريقة الدرقأوية: هي أحدى الطرق الصوفية التي نشأت في مدينة طنجة المغربية، أسسها الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد الدرقأوي، تميزت ببعض الممارسات والاعتقادات الخاصة، اعتماداً على المبادئ الأساسية للتصوف الاسلامي والتي تشمل محبة الله والذكر والزهد والصبر، وكان لها يد في كل انتفاضة أو تمرد يقع في الجزائر أو المغرب، وتميز اتباعها بكراهيتهم للسلطة الحاكمة، ويسارعون إلى بث الفوضى وروح التمرد) (الحاج يوسف، ٢٠٢٣، ص٣٦٦- ٣٦٩)

والاجتماعية(فارس، ١٩٦٩، ص٧٨)، اذ كانت هناك عدد من المظاهر والعادات السيئة للطرق الصوفية ومنها اتباع عدد من اصحابها شد الرحال الى مراكز الطرق عند حدوث الكوارث مثل هبوب العواصف، وسقوط الامطار الغزيرة، والفيضانات، وذلك لطلب المغفرة، ولاسيما ان بعض المشايخ نصبوا انفسهم واسطة بين الحكومة والشعب(شعبان، ٢٠١٦، ص١٣).

انتشرت الطرق الصوفية انتشارا كبيرا، وشيدت لها المباني التي تستقبل الاتباع والزوار، وكان الناس يتبرعون بالأموال من اجل توسيعها وترقيتها، ويزداد شان الزوايا واتباعها(عبدالودود، ٢٠٢٤، ص١٢٨) ، واهتمت الدولة في المغرب برجال الدين وزعماء الطرق الصوفية الذين نادوا بالإصلاح دائما، وقربتهم الى الدولة بإلغاء المكوس على الابواب والاسواق التي يعدونها غير شرعية، واعتمدوا في نظامهم المالي على الضرائب الشرعية والغير شرعية(فارس، ١٩٦٩، ج١، ص١٢٣)، وارتبطت بالعلاقات مع المشرق العربي عن طريق قوافل الحج عبر مصر، واسهم التجار بالسيطرة على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، ثم بدا الشعب المغربي بتأسيس منظمات بسيطة على شكل مجموعات امنوا بالوحدة والاستقلال، ومنهم احمد بيلا فريج (١٩٠٨- ١٩٩٠)[١٨] (الطيب لباز، ج٢، ٢٠١٤، ص٢٨) الذي كان الاساس الاول للحركة الوطنية المغربية، واسسوا العصبة المغربية التي هدفت الى مقاومة الطرق الصوفية والشعوذة والخرافة، وتخليص السكان من السلوكيات غير الصحيحة والوقوف بوجه التصوف والنفاق(الخالدي، ٢٠٢١، ص٣٢- ٣٣).

اضطرب وانعدم الامن في ولايات الدولة العثمانية، وساءت الاحوال البيئية التي كانت تعيشها الامة الاسلامية، وانتشر التخلف والظلم والطغيان والفقر والمرض والجهل، مما جعل الناس يرتمون في احضان الطرق الصوفية التي لا تقوم بأكثر من الترتيب وجعلهم يعيشون في غير واقعهم الذي فروا منه، ولاسيما ان الناس كانوا يحبون التصوف ويميلون الى تقديس اهل الايمان بصدق ورعايتهم، وتعاظم مخاوفهم من الجماعات الاسلامية المتطرفة ونشاطاتها حول العالم، وحفز الكثير منهم الى اعادة احياء الدراسات الاسلامية التي تعنى بالثقافة الاسلامية وممارستها التقليدية، فضلا عن وجود الاسباب الاقتصادية التي تتمثل في المحافظة على مصادر الدخل من الضرائب من الفلاحين والاراضي المزروعة، واتخاذ اجراءات ضد رجال الدولة ومعارضتهم للسلطة المركزية وسياستها الدينية(زخمي، ٢٠١٥، ص٣٨- ٤٠).

---

(١٨) أحمد بيلا فريج: ولد في الرباط عام ١٩٠٨، ومؤسس حزب الاستقلال، كان مناضلا وطنياً وقائداً سياسياً، درس في المغرب واكمل تعليمه في دراسة الحقوق في فرنسا، شارك في صياغة وثيقة الاستقلال عام ١٩٤٤، وتولى منصب رئاسة الوزراء في عهد الاستقلال ووزيراً للخارجية، والممثل الشخصي للملك الحسن الثاني حتى وفاته عام ١٩٩٠) (الطيب لباز، ج٢، ٢٠١٤، ص٢٨)

ارتبطـت القضـايا الدينيـة فـي المغـرب بتوجيهـات السـلطة السياسـية الحاكمـة، ولاسـيما بمـا يخص دراسة التفسير والحديث النبوي والفقه، والاهتمام بالمذهب المالكي بوصفه المذهب الرسمي في البلاد، وركز التعليم على الشريعة والدين الاسلامي واللغة العربية، وتعتمد طريقة التدريس على طريقة الالقاء والتركيز على اسلوب الحفظ، وكان لها مواقفها وتأثيرها الوطني في التطورات السياسية والاجتماعية والتعليمية في البلاد(حمود ٢٠٢٢، ص١٦٩).

انتشرت الزوايا انتشارا واسعا في العهد العثماني، ولاسيما في الريف بسبب عدم وجود المراكز التعليمية فيها، وكذلك انتشرت الطرق الصوفية، وسمح لها الجمع بين الوظيفة التعليمية والدينية، اذ كانت مكانا لتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ الكتابة، ومراكز للعبادة في الوقت نفسه(عبدالودود، ٢٠٢٤، ص١٢٨).

الخاتمة

في ختام هذا البحث، توصلنا الى عدد من النتائج وهي:

١. عُدت مدة حكم شمال افريقيا في العهد العثماني مدة مهمة، بسبب حدوث التغيرات الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتركت اثارا مهمة على هويتها، اذ كان هناك مزيج من الاعراق المختلفة التي تعيش في شمال افريقيا مثل العثمانيين والاوربيين الذين اعتنقوا الاسلام ويؤلفون نصف المدينة، والنصف الاخر هم المهاجرين من الاندلس وابناء القبائل العربية، وانصهروا مع البربر الامازيغ وشكلوا علاقات اجتماعية بينهم.
٢. تمثل الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد مجموعة من السلوكيات التي يتوارثها الاجيال، وادت دورا مهما في حياة المجتمعات، وفي تبادل الثقافات واواصر التعاون فيما بينها، على الرغم من اختلاف مكونات المجتمعات، فانه ادى الى تبادل الثقافات عن طريق التعايش والاندماج، والتعبير عن الهوية والانتماء الى ارضه، وتمسكهم بحضارتهم وتاريخهم.
٣. شكلت اللغة العربية والدين الاسلامي احد المكونات الرئيسية داخل مجتمعات شمال افريقيا، ومن اهم عوامل البناء الثقافي والحضاري، ووسيلة للرقي والتفكير والسلوك، وقيمة جوهرية في حياة المجتمعات باعتبارها لغة الثقافة والحضارة والدين.
٤. كانت المدارس محدودة في المدن الكبرى، وانحصر التعليم في جامع الزيتونة والقرويين، وكانت الجامعتان مبعث الحياة العقلية والسياسية في شمال افريقيا، واقتصر التعليم على طبقة معينة من ابناء الاعيان الذين يستطيعون ان يستمروا في التعليم.
٥. كانت الاصلاحات الفاشلة، وضعف الجيش، والديون المتراكمة، سببا للتنافس الاوربي بين الدول الكبرى بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا.
٦. ان القرب الجغرافي والتاريخي من فرنسا، افسح المجال للحكام في شمال افريقيا للتعاون معهم، والسماح لهم بالتدخل في شؤون بلادهم ثم احتلالها بحجة حماية مصالحهم واستغلال خيرات المجتمعات المستعمرة خدمة لمصالحهم.
٧. محاولة ربط المستعمرات بعضها مع بعض للحفاظ على توازن القوى في البحر المتوسط من خلال عقد المعاهدات والاتفاقيات التي هدفت الى السيطرة على الشؤون الداخلية والخارجية للمجتمعات المستعمرة.
٨. واجهت الدول الاستعمارية المقاومة الشعبية، والانتفاضات المتفرقة بالقمع والقسوة واستخدام القوة العسكرية.

المصادر

ابو جابر، فايز صالح .(1991) .الاستعمار في جنوب شرق اسيا .دار البشير للنشر والتوزيع، الاردن.

احمد، محمد يحيى، وحمادي، حمودي سلمان. (٢٠٢٢). التعليم في تونس .(1881–1938) مجلة جامعة تكريت للعلوم الاسلامية، ١٢ .(14)العراق.

الارقش، دلندة .(2003) .المغرب العربي الحديث من خلال مصادره .مركز النشر الجامعي. المغرب.

بلقاسم، ايت، وفاطمة الزهراء. (٢٠١٧). الحكم العثماني في الجزائر وتونس – دراسة مقارنة .مجلة القرطاس، ٤ . جامعة ابو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

بوحوش، عمار .(1997) .التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦١ .دار الغرب الاسلامي، بيروت.

بولغيني، بلقاسم .(2012) .لجنة تحرير المغرب العربي واسهاماتها في وحدة الكفاح المغاربي .(1948–1956) رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية، الجامعة الافريقية، احمد دارايا، الجزائر.

الجبوري، سهى سليمان عيسى .(2022) .تطور التعليم في تونس ١٩٥٨–٢٠٠٢ .اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة تكريت.

جبيري، ايمان، وبوياسي، مريم .(2016) .واقع الحياة الاجتماعية في بايلك الشرق في ظل حكومة الداي حسين . رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥، قالمة، الجزائر.

الجميل، سيار كوكب .(1997) .تكوين العرب الحديث .دار الشروق. الاردن.

الحاج يوسف، حسين، وبوزرفو، عبدالوهاب .(2023) .الطرق الصوفية وروادها بالبلاد التونسية .دار سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس.

الحارثي، تركي بن عجلان. (٢٠٠٧). الوجود العثماني في تونس في الفترة ما بين (١٢٤٦–١٢٩٨هـ) (١٨٣٠–١٨٨١م) .مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ٤ .جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، المملكة العربية السعودية.

حاطوم، نور الدين .(1985) .تاريخ عصر النهضة الاوروبية .دار الفكر، دمشق.

حسين، بشرى جبار .(2014) .الاوضاع الاجتماعية في تونس ١٩٥٧–١٩٨٧ .رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، العراق.

حسين، محمد الخضر .(2010) .موسوعة الاعمال الكاملة: تونس وجامعة الزيتونة (ترجمة علي الرضا الحسيني). دار النوادر للنشر والتوزيع، سوريا.

حمود، ابتسام، ومحمد، ثامر عزام. (٢٠٢٢). جامعة القرويين ابرز المعالم الفكرية: التأسيس، التسمية، الاهمية . مجلة جامعة تكريت، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٩.(1)

الخالدي، ضياء محمود موسى .(2021) .عبدالرحيم بو عبيد ودوره السياسي في المغرب .(1922–1992) رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق.

خديجة، دوبالي .(2020) .التدخل العثماني في الشرق الجزائري ١٥١٢–١٥٥٥: مجرياته ونتائجه .جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر.

دسوقي، ناهد ابراهيم .(2011) .دراسات في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر .دار المعرفة الجامعية، مصر.

رحيم، فضيلة اسماعيل. (٢٠١٨). التعليم الاجنبي في المغرب في عهد السلطان عبد العزيز بن الحسن

(١٨٩٤-١٩٠٨): دراسة تاريخية .مجلة الآداب المستنصرية، ٤٢ .(8)العراق.

رمضان، سلوان رشيد .(2013) .الاوضاع الاجتماعية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠-١٨٧١ . اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة تكريت، العراق.

ريمون، اندريه .(1985) .المدن العربية الكبرى في العصر العثماني (ترجمة لطيف فرج). دار الفكر للدراسات، القاهرة.

زخمي، سامية، وبوقرة، دليله .(2015) .الطرق الصوفية وعلاقتها بالدولة العثمانية خلال القرنين ١٥-١٦م . رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة يحيى فارس- بالمدية، الجزائر.

زوزو، عبدالحميد .(2009) .تاريخ الاستعمار في افريقيا واسيا .ديوان المطبوعات الجامعية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر.

السامرائي، فاتن عبدالسلام مزعل .(2018) .السلطان عبدالحفيظ ودوره في المغرب .(1908-1912) رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة سامراء، العراق.

سليماني، محمد. (٢٠١٩). السياسة الفرنسية البربرية ما بين سنتي (١٩١٣-١٩٣٠): اصولها واهدافها وردود فعل المغاربة .مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، ٣ .(2)المغرب.

الشريف، فوزي صالح. (٢٠١٨). دور الزوايا في الحياة الاجتماعية والمجتمع الليبي .مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، ٧ .جامعة الزنتان، ليبيا.

شعبان، وسيلة، وحمرات، عائشة .(2016) .حزب الاستقلال المغربي ودوره في مواجهة الحماية الفرنسية .(1944-1956)رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجيلالي بونعامة- بخميس مليانة، الجزائر.

الشمري، ثامر مكي. (د.ت). سياسة فرنسا تجاه بربر المغرب العربي .مجلة دراسات تاريخية، ٤٨ .كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، العراق.

الطيب لباز .(2014) .علاقات حزب الاستقلال المغربي بالحركتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية-1944) .(1956اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ٢.

عامر، محمود علي، وفارس، محمد خير. (د.ت) .تاريخ المغرب العربي الكبير (المغرب الاقصى، ليبيا) منذ القرن السادس عشر حتى عام ١٨٣٠ (الجزء ١). جامعة دمشق.

عبدالمعطي، حسام محمد .(2016) .شيخ الجامع الازهر في العصر العثماني .(1538-1812) مكتبة الاسكندرية. مصر.

عبدالودود احمد حمد .(2024) .دور مهاجري الاندلس في الحياة الادارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر .(1587-1671) رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة سامراء، العراق.

العقاد، صلاح .(1993) .المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الاقصى) (الطبعة الثانية). مكتبة الانجلو المصرية، مصر.

عموري، عمار .(2002) .الموجز في تاريخ الجزائر .دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر.

العيد، فارس .(2017) .الاوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب الجزائري اواخر العهد العثماني .مجلة الساورة للدراسات الانسانية والاجتماعية، ٥ .جامعة حسيبة بوعلي بالشلف، الجزائر.

فارس، محمد خير .(1969) .تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي .جامعة دمشق.

فتيحة، شعلان، والهوارية، شاوي .(2019) .التواجد الفرنسي في تونس من عهد الامان الى نهاية الحرب العالمية الاولى ١٨٧٥-١٩١٨ .رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون- تيارت، الجزائر.

فليجة، احمد نجم الدين. (د.ت) .افريقيا دراسة عامة واقليمية .مؤسسة شباب الجامعة. مصر.

الكتاني، محمد .(2008) .فاس قطبا حضاريا .مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، الجزء ١، المغرب.

المحجوبي، علي .(1986) .انتصاب الحماية الفرنسية في تونس .دار سراس للنشر، تونس.

محمد، الزين .(2020) .صفحات من تاريخ الجزائر الوسيط والحديث والمعاصر، الجزائر العثمانية سياسيا واداريا، الجزء ١ .جامعة الجيلالي الياس، سيدي بلعباس، الجزائر.

محمد، سحر ماهود. (٢٠١٧). الاجهزة الادارية العثمانية في ايالة الجزائر .مجلة جامعة كربلاء العلمية، ٥ .(1) العراق.

مختاري، الطيب. (د.ت) .السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر خلال القرن ١٩م .مجلة الباحث .جامعة مستغانم، الجزائر.

المدني، احمد توفيق .(1956) .هذه هي الجزائر .مكتبة النهضة المصرية.

معروف المجمعي، سالم رشود .(2021) .الجزائر في العهد العثماني ابان قيادة الرايس حميدو للاسطول الجزائري ١٧٩٤-١٨١٥ .رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة سامراء، العراق.

منشورات حزب الاستقلال .(1951) .المغرب قبل الحماية .مكتب المستندات والانباء، الطبعة العربية، مطبعة دار الطباعة العربية، مصر.

نجم، احمد عبدالله. (٢٠١٤). فرقة الانكشارية في الدولة العثمانية .مجلة جامعة عين شمس، ٤١ .مصر.

نوري، اسماعيل .(2000) .العرب والاستعمار .دار الثقافة والاعلام. الامارات العربية المتحدة.

المصادر باللغة الانجليزية

Akmir, Youssef. (2012). From Invasive Power to Protector Power: The Capture of Spain in the North of Morocco (1860–1923). Awraq, (5–6), Universidad Ibn Zohr de Agadir.

Abu Jaber, Fayez Saleh. (1991). Colonialism in Southeast Asia. Dar Al-Bashir Publishing and Distribution, Jordan.

Ahmed, Muhammad Yahya, and Hamadi, Hamoudi Salman. (2022). Education in Tunisia (1881–1938). Tikrit University Journal for Islamic Sciences, 12(14), Iraq.

Al-Araqsh, Dalanda. (2003). Modern Maghreb Through Its Sources. University Publishing Center, Morocco.

Belkassem, Ait, and Fatima Zahra. (2017). Ottoman Rule in Algeria and Tunisia – A Comparative Study. Al-Qirtas Journal, 4, University of Abou Bekr Belkaid, Tlemcen, Algeria.

Bouhouche, Ammar. (1997). Political History of Algeria from the Beginning to 1961.

Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut.

Boulegini, Belkassem. (2012). The Maghreb Liberation Committee and Its Contributions to the Unity of Maghreb Struggle (1948–1956). Master's Thesis (Unpublished), Faculty of Social Sciences and Islamic Sciences, African University, Ahmed Daraya, Algeria.

Al-Jibouri, Suha Suleiman Issa. (2022). Education Development in Tunisia 1958–2002. PhD Dissertation (Unpublished), College of Education for Human Sciences, University of Tikrit, Iraq.

Jabiri, Iman, and Bouyasi, Mariam. (2016). The Reality of Social Life in the Eastern Beylik under Hussein Dey's Government. Master's Thesis (Unpublished), University of May 8, 1945, Guelma, Algeria.

Al-Jamil, Sayyar Kokab. (1997). Modern Arab Formation. Dar Al-Shorouk, Jordan.

Al-Hajj Youssef, Hussein, and Bouzarfaou, Abdulwahab. (2023). Sufi Orders and Their Leaders in Tunisia. Sotimedia Publishing and Distribution, Tunisia.

Al-Harithi, Turki bin Ajlan. (2007). Ottoman Presence in Tunisia During (1246–1298 AH) (1830–1881). Journal of Humanities and Social Sciences, 4, Imam Muhammad Bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.

Hatoum, Nour Al-Din. (1985). History of the European Renaissance Era. Dar Al-Fikr, Damascus.

Hussein, Bushra Jabar. (2014). Social Conditions in Tunisia 1957–1987. Master's Thesis (Unpublished), College of Education for Women, University of Tikrit, Iraq.

Hussein, Muhammad Al-Khidr. (2010). Complete Works Encyclopedia: Tunisia and Zaytouna University (Translated by Ali Al-Rida Al-Hussaini). Dar Al-Nawadir Publishing and Distribution, Syria.

Hamoud, Ibtisam, and Muhammad, Thamer Azam. (2022). Al-Qarawiyyin University: Leading Intellectual Landmarks – Foundation, Naming, and Significance. Tikrit University Journal, College of Education for Human Sciences, 29(1).

Al-Khalidi, Diaa Mahmoud Moussa. (2021). Abd Al-Rahim Bouabid and His Political Role in Morocco (1922–1992). Master's Thesis (Unpublished), Faculty of Arts, Al-Mustansiriya University, Iraq.

Khadija, Douballi. (2020). Ottoman Intervention in Eastern Algeria 1512–1555: Events and Consequences. Ibn Khaldoun University, Tiaret, Algeria.

Desouki, Nahid Ibrahim. (2011). Studies in Modern and Contemporary African History. University Knowledge House, Egypt.

Rahim, Fazila Ismail. (2018). Foreign Education in Morocco During Sultan Abdel Aziz Bin Hassan's Reign (1894–1908): Historical Study. Al-Mustansiriya Arts Journal, 42(8). Iraq.

Ramadan, Silwan Rashid. (2013). Social Conditions in Algeria During French Occupation 1830–1871. PhD Dissertation (Unpublished), College of Education, University of Tikrit, Iraq.

Raymond, Andre. (1985). Major Arab Cities in the Ottoman Era (Translated by Latif Faraj). Dar Al-Fikr for Studies, Cairo.

Zakhmi, Samia, and Boukera, Dalila. (2015). Sufi Orders and Their Relationship with the Ottoman State During the 15th–16th Centuries. Master's Thesis (Unpublished), Faculty of Humanities and Social Sciences, Yahya Fares University, Medea, Algeria.

Zouzou, Abdulhamid. (2009). History of Colonialism in Africa and Asia. University Publications Bureau, History Institute, University of Algeria.

Al-Zain Muhammad. (2020). Pages from the History of Algeria – Ottoman Algeria Politically and Administratively – Part 1. University of Ghilali Lyas, Sidi Bel Abbas, Algeria.

Al-Samarrai, Fatin Abdul Salam Mazal. (2018). Sultan Abdul Hafeez and His Role in Morocco (1908–1912). Master's Thesis (Unpublished), College of Education, University of Samarra, Iraq.

Slimani, Muhammad. (2019). French Barbarian Policy Between 1913–1930: Origins, Objectives, and Moroccan Reactions. Qabas Journal for Humanities and Social Studies, 3(2). Morocco.

Al-Sharif, Fawzi Saleh. (2018). Role of Zawiyas in Social Life and Libyan Society. Siraj Journal for Education and Society Issues, 7, University of Zentan, Libya.

Shaaban, Waseela, and Hamrat, Aisha. (2016). The Moroccan Independence Party and Its Role in Facing French Protection (1944–1956). Master's Thesis (Unpublished), Faculty of Social and Human Sciences, University of Jelali Bounaamah – Khemis Miliana, Algeria.

Al-Shammari, Thamir Maki. (n.d.). France's Policy Toward Berbers of the Maghreb. Historical Studies Journal, 48, Faculty of Arts, Al-Mustansiriya University, Iraq.

Al-Tayyib Labaz. (2014). Relations Between the Moroccan Independence Party and the Algerian and Tunisian National Movements (1944–1956). PhD Dissertation (Unpublished), Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Algiers 2.

Amer, Mahmoud Ali, and Fares, Muhammad Khair. (n.d.). History of the Greater Maghreb (Morocco, Libya) from the 16th Century to 1830 (Part 1). University of Damascus.

Abdelmoti, Hossam Muhammad. (2016). Sheikh of Al-Azhar Mosque During the Ottoman Era (1538–1812). Library of Alexandria, Egypt.

Abdulwadoud Ahmad Hamad. (2024). Role of Andalusian Immigrants in Administrative, Military, Economic, Social, and Cultural Life in Algeria (1587–1671). Master's Thesis (Unpublished), College of Education, University of Samarra, Iraq.

Al-Aqqad, Salah. (1993). Maghreb in Modern and Contemporary History (Algeria, Tunisia, Morocco) (2nd Edition). Anglo Egyptian Bookshop, Egypt.

Amouri, Ammar. (2002). Summary of Algerian History. Raihana Publishing and Distribution House, Algeria.

Al-Eid, Fares. (2017). Economic Conditions in the Western Beylik of Algeria During the Late Ottoman Era. Saoura Journal for Humanities and Social Studies, 5, University of Hassiba Benbouali, Chlef, Algeria.

Fares, Muhammad Khair. (1969). Modern Algerian History from Ottoman Conquest to French Occupation. University of Damascus.

Ftaiha, Shaalan, and Al-Houaria, Chaoui. (2019). French Presence in Tunisia From Security Covenant to End of World War I (1875–1918). Master's Thesis (Unpublished), Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Ibn Khaldoun - Tiaret, Algeria.

Fleeja, Ahmad Najm Al-Din. (n.d.). Africa: General and Regional Study. Youth Foundation Publishing, Egypt.

Al-Kettani, Muhammad. (2008). Fez as a Civilizational Hub. Academy of the Kingdom of Morocco Publications, Part 1, Morocco.

Al-Majmai, Ma'roof, Salem Rashoud. (2021). Algeria During the Ottoman Era - Hamidou Rais Leadership of the Algerian Fleet (1794–1815). Master's Thesis (Unpublished), College of Education, University of Samarra, Iraq.

Al-Mahjoubi, Ali. (1986). The Establishment of French Protection in Tunisia. Dar Sarass Publishing, Tunisia.

Muhammad, Sahar Mahood. (2017). Ottoman Administrative Institutions in Algeria. Karbala University Journal of Science, 5(1), Iraq.

Mukhtari, Al-Tayyib. (n.d.). French Educational Policies in Algeria During the 19th

Century. Researcher Journal, University of Mostaganem, Algeria.

Al-Madani, Ahmed Tawfiq. (1956). This is Algeria. Egyptian Renaissance Library.

Publications of the Independence Party. (1951). Morocco Before Protection. Office of Documents and News, Arabic Edition, Arab Printing House, Egypt.

Najm, Ahmed Abdullah. (2014). The Janissary Corps in the Ottoman Empire. Ain Shams University Journal, 41, Egypt.